الدولة السعودية الثانية

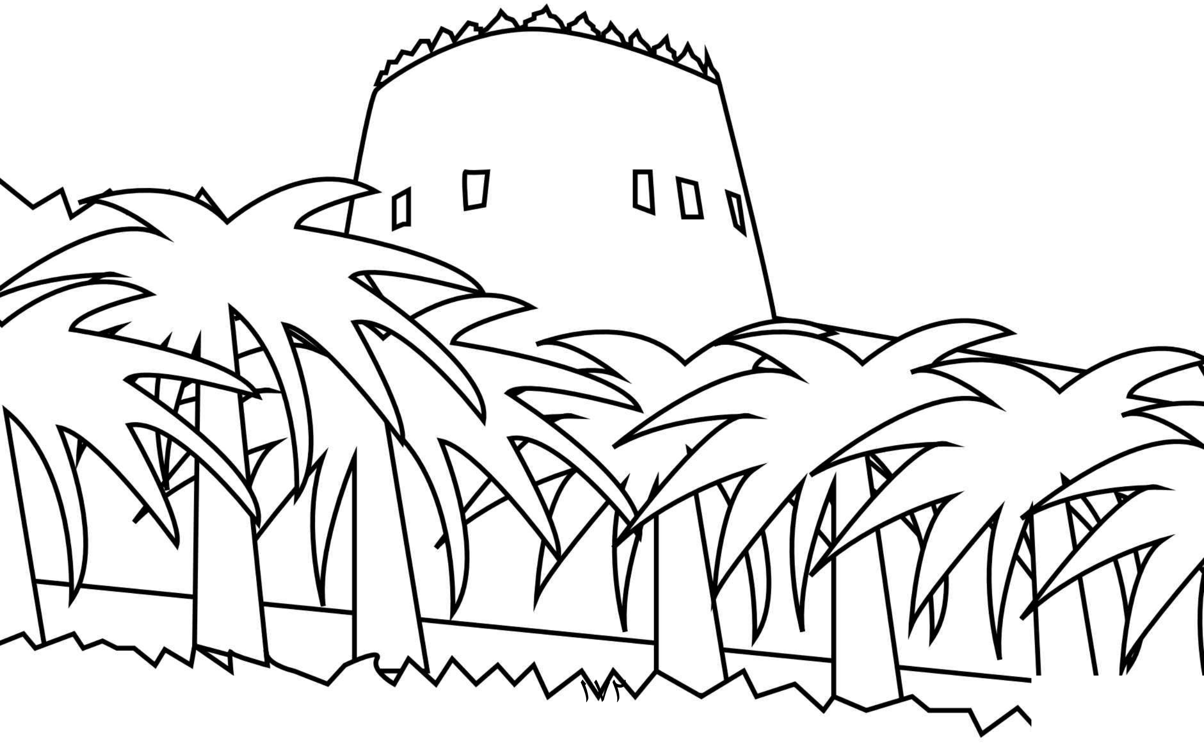

١- أوضاع البلاد إثر نهاية الدولة السعودية الأولى:

بعد أن استسلم الإمام عبدالله بن سعود لإبراهيم باشا قدمت إلى هذا الأخير وفود من بلدان وقبائل نجدية مختلفة، معلنة ولاءها له. أما الذين خافوا على أنفسهم من بطشه، أو خافوا أن تضطرهم الظروف، وهم كارهون، إلى التعاون معه بأيِّ شكل من الأشكال، فقد هربوا إلى المناطق النائية في جنوبي نجد، أو في الجهات القريبة من عمان، التي كانت بعيدة عن متناول يده حينذاك(١).

ولقد ارتكب إبراهيم باشا أعمالًا إجرامية في البلاد، فعَذَّب عددًا من زعمائها، وقتل آخرين. وكان ممن ذهب ضحية جوره وجور ضباط جيشه الشيخ سليمان بن عبدالله -حفيد الشيخ محمد ابن عبدالوهاب(٢)- وأخوه علي، والأمراء محمد بن سدحان من شقراء، ومحمد بن عبدالمحسن بن علي بن حائل، وعبدالله بن رشيد من عُنَيزة، وثلاثة من آل عُفَيصان(٣).

ومن الأمور التي قام بها إبراهيم إرسال كل من وقعت عليه يده من آل سعود وآل الشيخ إلى مصر(٤). وذلك محاولة منه، فيما يبدو، أن يبعد عن البلاد أولئك الذين ينظر إليهم كثير من النجديين على أنهم رمز لنهضتهم ووحدتهم. كذلك قام بهدم مدينة الدِّرْعيَّة التي سبق أن أعطى الإمام عبدالله بن سعود وعدًا بألَّا يهدمها(٥). وكان هدمه لها بناء على أوامر من أبيه(٦). وقد أجبر سكان

---

(١) ابن بشر، ج١، ص٢٨٧ و٢٩٩ - ٣٠٠.

(٢) بلغ جور إبراهيم درجة جعلته يأمر بعزف آلات اللهو أمام الشيخ سليمان قبل قتله إمعانًا في إيذائه. ثم أطلقت عليه النيران حتى ذهب جسده قطعًا في المقبرة، انظر المصدر نفسه، ج١، ص٢٨٢.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٧٨ و٢٩١.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٢٨٦ - ٢٨٧.

(٥) عبدالرحيم، **الدولة السعودية**، ص٣٤٣.

(٦) الرافعي، ص١٩٥.

بعض البلدان النجدية، أيضًا، أن يهدموا أسوار بلدانهم[1]. ولَعلَّه أراد بذلك أن يفقدوا كل أمل في المقاومة مستقبلًا.

وفي أثناء ذلك تَوجَّه ماجد بن عُرَيعر، أحد زعماء بني خالد، إلى الأحساء التي كانت تحت حكم أسرته قبل استيلاء السعوديين عليها. وظاهر عبارة ابن بشر أن تَوجُّه ماجد إلى تلك المنطقة كان بموافقة إبراهيم باشا وتأييده[2]. وعندما وصل القائد الخالدي إلى هناك هرب من الأحساء أميرها من قِبَل آل سعود. ولكن لم تمض أيام على استيلاء ماجد على المنطقة المذكورة إلا وقد وصل إليها محمد كاشف مع فرقة عسكرية صغيرة من جيش إبراهيم باشا.

وصادر هذا القائد التركي جميع ما كان في بيت المال السعودي من أموال، وما كان يوجد في تلك البلاد من خيل وأسلحة لآل سعود. وقام هذا القائد أيضًا بأعمال إجرامية منها قتل العالم عبدالرحمن بن نامي وبعض المرشدين المعروفين بحماستهم للدعوة الإصلاحية[3]. ويبدو أن زعماء بني خالد، وفي مُقدِّمتهم ماجد بن عُرَيعر وأخوه محمد، خافوا أن ينالهم بطش ذلك القائد التركي، فهربوا إلى الحدود العراقية. ومكثوا هناك حتى انسحب محمد كاشف إلى نجد لاحقًا برئيسه إبراهيم باشا، فعادوا إلى الأحساء وتولَّوا حكمها[4].

(١) ابن بشر، ج١، ص٢٨٥.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٨٥ - ٢٨٦.

(٤) المصدر نفسه، ج١، ص٢٩٣ على أن رحمة بن جابر الجلهمي اتخذ من الدمام والمنطقة الساحلية القريبة منها مركزًا لنشاطه البحري العسكري. وكان رحمة.. شجاعًا ومتحمِّسًا لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. وقد تحالف آل خليفة وزعماء بني خالد ضده في نهاية الأمر، وتوفي محاربًا للطرفين سنة ١٢٤٢هـ. انظر ابن بشر، ج٢، ص٣٢ - ٣٤ ومحمد عرابي نخلة، **تاريخ الأحساء السياسي** (١٨١٨ - ١٩١٣)، ذات السلاسل في الكويت، ١٤٠٠هـ، ص٤٤ - ٤٨.

ويبدو أن فئات قبلية نجدية لم ترض بالخضوع الكامل لإبراهيم باشا، ولم تستجب لما طلب منها. ولَعلَّ مما يؤكد ذلك أنه اضطر إلى القيام بغزوها. وكاد يُقتَل في إحدى غزواته لها[1]. على أنه قد حَقَّق الهدف الأساس من حملته، وهو القضاء على الدولة السعودية.

واعتقد أنه بإرسال آل سعود وآل الشيخ إلى مصر، وبتخريب الدِّرْعيَّة وتهديم أسوار البلدان النجدية المُهمَّة، وقتل بعض زعماء نجد، قد قضى على أَيِّ أمل لسكان المنطقة في إقامة دولة تجمع شتاتهم من جديد. لذلك انسحب بقواته إلى الحجاز. ثم عاد من هناك إلى مصر حيث وصل إلى القاهرة في شهر صفر سنة ١٢٣٥هـ[2].

وبعد انسحاب إبراهيم باشا بقواته من نجد وقع فيها ما كان متوقعًا نتيجة انعدام السلطة القوية؛ إذ دَبَّت فيها الفوضى السياسية، وتَجدَّدت الضغائن بين زعمائها[3]. وسيطر الخوف على كثير من سكانها لاختلال الأمن. فبات عدد غير قليل منهم يتوقون إلى الخلاص من الحالة التي وصلوا إليها.

٢- المحاولات الأولى لتكوين دولة نجدية جديدة:

كان محمد بن مشاري بن مُعمَّر -وخاله عبدالعزيز بن محمد بن سعود[4]- ممن ترك الدِّرْعيَّة عند استيلاء إبراهيم باشا عليها. وقد استقر في بلدة العُيَينة التي كانت إمارتها لأسرته. وبعد أن انسحب إبراهيم بقواته من نجد راودته

---

(١) ابن بشر، ج١، ص٢٩٠ - ٢٩١.

(٢) الجبرتي، ج٣، ص٦٠٦.

(٣) ابن بشر، ج١، ص٢٩٢ - ٢٩٣. ويرجع مؤلف هذا الكتاب ذلك إلى محاولات الزعماء، الذين عزلهم آل سعود عن الزعامة لعدم خضوعهم لهم، أن يستعيدوا نفوذهم في بلدانهم.

(٤) انظر ما ذكره عبدالرحمن آل الشيخ في تعليقه على ابن بشر، ج١، ص٢٩٤ هامش ١.

فكرة إقامة دولة في هذه المنطقة. ولَعلَّ مما شَجَّعه على ذلك أن إبراهيم قد أبعد من وجده من آل سعود إلى مصر، وأنه سليل أقوى أسرة نجدية قبل قيام الدولة السعودية الأولى، وأنه يَمتُّ بصلة الرحم لآل سعود كما ذُكِر سابقًا. ثم إنه كان يمتلك كثيرًا من الأموال والأسلحة[١].

ومن الواضح أن ابن مُعمَّر قد أدرك المكانة التي تحتلها مدينة الدِّرْعيَّة في نفوس كثير من النجديين؛ إذ كانت رمزًا لقوة منطقتهم ووحدتها. فرأى أن تكون هذه المدينة قاعدة الدولة التي عزم على إقامتها، وكأنه يوحي بذل إلى النجديين أنه يعمل لإعادة مجد دولة نجد، لا مجد أسرته الخاص. وقدم إلى الدِّرْعيَّة أواخر سنة ١٢٣٤هـ، فأخذ يعيد بناءها. ودعا قادة المنطقة إلى مبايعته. وكان زعماء بلدة منفوحة أَوَّل من انضم إليه[٢]. لكن بعض القادة النجديين رأوا في حركته مصدر خطر عليهم، فاتَّصلوا بزعماء بني خالد، وحَثُّوهم على التوجُّه إلى نجد للقضاء على تلك الحركة في مهدها.

ولقيت اتصالات المعارضين لابن مُعمَّر بزعماء بني خالد نجاحًا كبيرًا. وتَوجَّه ماجد بن عُرَيعر بأتباعه إلى نجد حتى وصل إلى العارض، حيث انضم إليه أهل الخرج والرياض وحُرَيملاء. وأمام هذا الخطر تَصرَّف ابن مُعمَّر بذكاء؛ إذ أرسل إلى ماجد بعض الهدايا، وأخبره أنه تابع للسلطان العثماني. وبهذا الأسلوب عاد الزعيم الخالدي إلى بلاده، وتَخلَّص ابن مُعمَّر من الخطر الذي أحدق به[٣].

(١) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٢) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٩٤.

وازدادت شعبية ابن مُعمَّر شيئًا فشيئًا لدى النجديين. وعاد إلى الدِّرْعيَّة كثير ممن تركوها قبيل استسلامها لإبراهيم باشا، أو عند تخريبه لها. ومن بين هؤلاء تركي بن عبدالله بن محمد بن سعود، وأخوه زيد، اللذان أخذا يساعدان ابن مُعمَّر في نشاطه[1]. وبدت بوادر النجاح تلوح في الأفق أمام رئيس الدولة الناشئة؛ إذ استطاع أن يدخل حُرَيملاء تحت طاعته. ثم دانت له بعض البلدان النجدية الأخرى بالولاء[2].

على أن نجاح ابن مُعمَّر لم يستمر. فقد جابهته مشكلة لم يتوقعها. ذلك أن مشاري بن سعود- أخا الإمام عبدالله- كان قد هرب من حُرَّاسه وهو في طريقه من المدينة المنورة إلى ينبع مع آل سعود الذين أُرسِلوا إلى مصر. ثم وصل إلى الوَشْم حيث انضم إليه بعض الأعوان من مناطق نجدية مختلفة. فاتَّجه إلى الدرعية ودخلها بمن معه. ولم يجد ابن مُعمَّر أمامه حَلًّا إلا أن يتنازل له عن الحكم، وإن كان يضمر في نفسه ضده ما يضمره[3].

وما إن بويع مشاري بن سعود بالحكم في الدِّرْعيَّة حتى قدم إليه عدد من أفراد الأسرة السعودية، الذين هربوا من تلك المدينة وقت استسلامها لإبراهيم باشا. ومن بين هؤلاء عَمُّه عمر ابن عبدالعزيز. ثم قدمت إليه وفود من سُدَير والوَشْم والمِحمَل معلنة ولاءها. وقد وقف معه تركي بن عبدالله آل سعود، وأيَّده غاية التأييد[4].

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص٢٩٥.

(٢) المصدر نفسه، ج١، ص٢٩٥ - ٢٩٦.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٩٦.

(٤) قدوم الوفود المذكورة لمبايعة مشاري بن سعود تبيَّن أن كثيرًا من النجديين كانوا يكنّون مودة للأسرة السعودية التي تمَّ توحيد المنطقة سابقًا على يديها. وتعاون تركي بن عبدالله معه ومع ابن معمَّر قبل ذلك يوحي بأن تركي بن عبدالله كان حريصًا على أن يرى دولة تجمع شتات المنطقة وإن لم يكن رئيسها.

وبعد أن انضمت إلى مشاري بن سعود كثير من بلدان الأقاليم المذكورة سابقًا أراد أن يوسع دائرة نفوذه. فجمع أتباعه من العارض وتلك الأقاليم واتَّجه إلى الخرج. وحالفه التوفيق. فلم يعد من هناك إلا وقد دانت له بلدان ذلك الإقليم بالولاء. لكن النجاح الذي حَقَّقه مشاري بن سعود قُدِّر له أن يصاب بانتكاسة شديدة. ذلك أن ابن مُعمَّر، الذي كانت الرغبة في الحكم مسيطرة على مشاعره، احتال عليه وخرج من الدِّرعية إلى سدوس، مُدَّعيًا أنه سيزور بعض أقاربه في تلك البلدة. وحين وصل إليها أظهر أنه مريض. لكنه كان في حقيقة الأمر، يجمع الأنصار ليعود إلى الحكم. وقد نجح في كسب فيصل الدويش، زعيم قبيلة مطير، إلى جانبه[1]. فأرسل ذلك الزعيم بعض أتباعه إليه، ثم سار ابن مُعمَّر بمن اجتمع لديه من الأعوان إلى الدِّرْعيَّة، فدخلها وألقى القبض على مشاري بن سعود، وأرسله إلى سدوس. وبعد ذلك تَوجَّه إلى الرياض، واستولى عليها. وكان تركي بن عبدالله في هذه البلدة فغادرها عند اقتراب محمد بن مُعمَّر وأتباعه منها[2].

وفي هذه الأثناء كان محمد علي، حاكم مصر، على علم بالتطورات الجديدة في منطقة نجد. وقد ساءه أن تُبذَل محاولات لتوحيدها. فبعث فرقة من الجيش إلى عُنَيزة بقيادة آبوش آغا. ولم يغب عن ذهن ابن مُعمَّر، الذي سبق أن أخبر زعيم بني خالد بأنه تابع للسلطان العثماني، أن يبعث رسالة إلى القائد آبوش يخبره فيها أن الأعمال التي يقوم بها في صالح محمد علي والدولة العثمانية. فَأقرَّه آبوش على أعماله، وأَيَّد إمارته على المنطقة[3].

(١) لم يكن غريبًا أن يقف الدويش مع ابن مُعمَّر الذي يظهر تبعيته للدولة العثمانية. ذلك أن زعيم مطير كان من المتعاونين مع إبراهيم باشا التابع حينذاك لتلك الدولة.

(٢) وجود تركي في الرياض وطريقة إيراد ابن بشر لهذا الخبر توحيان بأنه كان واليًا عليها من قِبَل مشاري بن سعود. ابن بشر، ج١، ص٢٩٧.

(٣) المصدر نفسه، ج١، ص٢٩٧. قارن ذلك بالفاخري، ١٥٤.

٣- تركي بن عبدالله وقيام الدولة السعودية الثانية:

لم يقل تركي بن عبدالله آل سعود مكتوف اليدين إزاء ما قام به محمد بن مُعمَّر من غدر بمشاري بن سعود. لقد وقف تركي مع ابن مُعمَّر حين بدأ جهوده لتكوين دولة جديدة في المنطقة. وعندما تنازل عن الحكم لمشاري بن سعود أصبح تركي ينظر إلى هذا الأخير على أنه الحاكم الشرعي، فوقف معه وأَيَّده. ولما غدر ابن مُعمَّر بهذا الحاكم الشرعي صَمَّم تركي على أن يعيد الحق إلى نصابه. فانطلق من بلدة الحائر، التي كان قد ذهب إليها بعد مغادرته للرياض، واتَّجه إلى بلدة ضرما. وهناك انضم إليه مُؤيِّدوه، فسار بهم حتى فاجأ محمد بن مُعمَّر في الدِّرْعيَّة وقبض عليه. ثم تَوجَّه إلى الرياض فاستولى عليها، وقبض على أميرها مشاري بن محمد بن مُعمَّر. وفي محاولة لإنقاذ مشاري بن سعود هَدَّد ابنَ معمَّر وابنه بأنه لن يطلق سراحهما حتى يُسلَّم إليه الأمير السعودي المعتقل. لكن أنصار ابن مُعمَّر في سدوس خافوا من غضب القائد التركي آبوش آغا فَسلَّموه أتباعه، وأُخِذ إلى عُنَيزة حيث وافته المنية في سجنه هناك. فلما علم تركي بن عبدالله بذلك نَفَّذ ما هَدَّد به تجاه محمد بن مُعمَّر وابنه مشاري[1].

ولم يشأ تركي بن عبدالله أن يَتَّخذ من الدِّرْعيَّة مركزًا لنشاطه، وإنما فَضَّل الرياض عليها. وربما كان من أسباب تفضيله لهذه المدينة أنها كانت قوية التحصين، كثيرة المزارع، وأنه -بصفته من الأسرة السعودية ذاتها- لم

---

(١) انظر تفصيل ذلك لدى ابن بشر، ج٢، ص٢٩٧ - ٢٩٨. وقد ذكر ابن بشر خطأ هذه الحوادث وهو يتكلَّم عمَّا حدث سنة ١٢٣٤هـ. والصحيح أن قضاء تركي على ابن معمَّر وابنه كان سنة ١٢٣٦هـ. فقد ذكر المؤلف نفسه (ج١، ص٢٩٦) أن قدوم مشاري بن سعود إلى نجد في جمادى الآخرة سنة ١٢٣٥هـ. ولا يمكن أن يكون تحرُّك تركي في ربيع الأول سنة ١٢٣٥هـ، وذلك أمر حدث بعد مدة من مجيء مشاري. وانظر، أيضًا الفاخري، ص١٥٤ - ١٥٥.

توجد لديه حساسية أين يضع مركز نشاطه؛ إذ إن مجده امتداد لمجد الأسرة السعودية السابق.

على أن الأمور ما إن استقرت لتركي بن عبدالله في الرياض حتى حاصره فيصل الدويش بأتباعه ومعه عدد من رجال الفرقة العسكرية الموجودة في عُنَيزة. لكنه صمد أمام المحاصرين له، فانسحبوا إلى الوَشْم. ولم يكن نجاح تركي بن عبدالله الأوَّلي إلا حافزًا لمحمد علي، حاكم مصر، ليرسل تعزيزات أخرى للقضاء على الحركة السعودية الجديدة. فأرسل قوة بقيادة حسين بك إلى نجد. وحين وصلت إلى القصيم انضم إليها آبوش آغا ببعض من معه. وسار الجميع بقيادة حسين بك حتى وصلوا إلى الوَشْم. ومن هناك بعث القائد المذكور آبوش أغا مع عدد من أفراد جيشه ومن انضم إليه من أهل نجد إلى الرياض. ودخل آبوش ومن معه هذه المدينة، فحاصر تركي بن عبدالله وأنصاره في قصر إمارتها. وحينما اشتد الحصار على هؤلاء تَسلَّل تركي من القصر ليلاً إلى خارج المدينة، واتَّجه إلى الجهات الجنوبية من نجد. أما من كانوا معه فطلبوا الأمان من قائد الفرقة المحاصرة لهم، واستسلموا له بعد أن وعدهم بتلبية ما طلبوه منه. لكنه غدر بهم، وقتل أكثرهم[(١)].

ولقد أقدم حسين بك على ارتكاب جرائم شنيعة. ومن أعظم تلك الجرائم أنه طلب من أهل الدِّرْعيَّة أن يفدوا إليه في ثرمداء ليعطي كل واحد منهم إذنًا بأن ينزل أَيَّ بلد شاء. وحينما وفد إليه حوالي مئتين وثلاثين رجلاً منهم قتلهم أجمعين. ثم فَرَّق ضباطه في بعض البلدان النجدية، فقاموا بأعمال إجرامية في مُقدِّمتها القتل والتعذيب ومصادرة الأموال[(٢)]. وبعد أن اعتقد بأن أعماله

(١) انظر تفصيل ذلك لدى ابن بشر، ج١، ص٣٠٠، والفاخري، ص١٥٥. ومما يلفت النظر أن الذين لم يقتلهم قائد الفرقة هم من آل سعود. وقد بعث بهم إلى مصر.

(٢) ابن بشر، ج١، ص٣٠٠ - ٣٠٣.

الإجرامية قد بَثَّت الرعب من قوة حاكم مصر في نفوس النجديين انسحب بقواته من نجد؛ تاركًا حاميات صغيرة في كُلٍّ من الرياض، ومنفوحة، وثرمداء، وعُنَيزة، لتُذكِّر السكان بأن محمد علي بالمرصاد لأيِّ حركة توحيدية جديدة.

وبعد انسحاب حسين بك بقواته من نجد تَجدَّدت الاضطرابات بين الزعامات المحلِّية بشكل عنيف. ثم قدمت إلى المنطقة حملة عسكرية أخرى قائدها حسين أبو ظاهر. ولم تكن سيرة هذا القائد تختلف كثيرًا عن سيرة سلفه من حيث الظلم والجور والغدر(1). لكن شعور السكان إزاء إجراءاته بدا يَتحوَّل إلى ثورة ومقاومة. ومن بوادر ذلك أن قبيلة سبيع كَبَّدت الغزاة خسارة فادحة أواخر سنة ١٢٣٧هـ؛ إذ قتلت منهم قرب الحائر أكثر من ثلاث مئة رجل(2). وقام أهل عُنَيزة على أبي ظاهر ومن معه وأرغموهم على الخروج من بلدتهم. ثم قدم إليه العسكر الموجودون في ثرمداء، وانسحبوا معه إلى المدينة المنورة؛ تاركين في قصر الصفا، الواقع خارج أسوار عُنَيزة حينذاك، نحو ست مئة جندي. ثم تصالح الطرفان على أن يترك بقية الجنود المذكورين المنطقة بأسلحتهم، وذلك في شهر رجب سنة ١٢٣٨هـ(3). وبذلك لم يبقَ في نجد من جيش الغزاة إلا الذين كانوا في منفوحة والرياض.

وفي شهر رمضان من سنة ١٢٣٨هـ استأنف تركي بن عبدالله نشاطه لإخراج بقية القوات الغازية من نجد وتوحيد المنطقة. فترك بلدة الحلوة الواقعة جنوبي نجد، ووصل في نهاية الأمر مع عدد قليل من أنصاره إلى بلدة

(١) انظر عن ذلك المصدر نفسه، ج١، ص٣٠٧ وابن عيسى، **تاريخ بعض الحوادث**، ص١٥١.

(٢) ابن بشر، ج١، ص٣٠٧.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص١٧. ويذكر ابن عيسى (**تاريخ بعض الحوادث**، ص١٥٣): أن أهل عنيزة هدموا قصر الصفا بعد رحيل العسكر عنه. ومن الواضح أن الهدف من هدمه هو ألَّا يستعمل قاعدة ضدهم مرة أخرى.

عِرِّقة القريبة من الرياض[١]. وهناك وفد إليه مُؤيِّدوه من الوشم وسدير. فبدأ بمحاربة الحاميتين الموجودتين في الرياض ومنفوحة. وظَلَّ محاربًا لهما أكثر من سنة. لكنه لم يقصر نشاطه على محاربة الحاميتين المذكورتين؛ بل كان يَتحرَّك لإدخال بلدان نجدية أخرى تحت نفوذه، مما يشير إلى أنه كان يرى مسألة انتصاره عليهما مسألة وقت فقط. وقد نجح في مسعاه نجاحًا عظيمًا؛ إذ انضمَّت إليه، وهو لا يزال في عِرِّقة، أكثر بلدان الوَشْم وسُدَير[٢].

وفي أواخر عام ١٢٣٩هـ تَقدَّم تركي بن عبدالله بأعوانه إلى منفوحة، وأجبر مَن كان فيها من الجنود على مغادرتها، واستولى عليها. ثم شَدَّد حصاره على العسكر الموجودين في الرياض حتى طلب قائدهم، أبو علي المغربي، منه الصلح. فوافقه تركي على ذلك. وتم الصلح بينهما على أن يغادر المغربي نجدًا بقواته وأسلحته، وأن يُؤمَّن من تعاون معه من أهل الرياض[٣].

ولم يشأ تركي بن عبدالله، لبُعْد نظره، أن يدخل الرياض قبل أن يَتأكَّد بنفسه من تنفيذ المغربي ما اشترط عليه من انسحاب عن المنطقة. ولذلك أمر مشاري بن ناصر آل سعود أن يدخل البلدة المذكورة ويضبط الأمور فيها. أما هو فتوجَّه بأعوانه إلى الوَشْم، حيث استقام في شقراء شهرًا مَرَّ به خلاله أبو علي المغربي ومن معه مُتَّجهين إلى الحجاز[٤]. وقد وفد إليه هناك أمير بلدة

---

(١) يذكر الفاخري (ص١٦٠): أن تركي بن عبدالله استولى على ضرما قبل أن يتجه إلى عرقة. وقد ذكر ذلك ضمن حوادث سنة ١٢٣٧هـ. ومن الواضح أن هذا خطأ. لكن ابن بشر (ج٢، ص١٦ و١٨) يذكر أنه اتجه من الحلوة إلى عرقة في التاريخ المذكور أعلاه. وبعد أن استقر فيها ذهب إلى ضرما واستولى عليها، وذلك سنة ١٢٣٩هـ.

(٢) المصدر الأخير نفسه، ج٢، ص١٦.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٣.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٤.

عُنَيزة، يحيى بن سُلَيْم[1]، وبايعه على السمع والطاعة؛ وذلك عام ١٢٤٠هـ[2]. وكان استيلاء تركي بن عبدالله على الرياض في مُستهلِّ ذلك العام. ومنذ ذلك التاريخ أصبحت الرياض مقرًّا للحكم السعودي. وكان جلاء القوات الغازية عن نجد إيذانًا بقيام الدولة السعودية الثانية.

٤- توحيد نجد:

سبق أن أشير إلى تَطلُّع كثير من النجديين إلى وجود سلطة تُحقِّق لهم الأمن والوحدة، كما سبق أن أشير إلى ازدياد كره غالبية سكان نجد للغزاة. وبخاصة بعد أن قام هؤلاء بما قاموا به من غدر وظلم. وقد اتَّضح هذا وذاك في ضوء ما قام من حركات مقاومة في أمكنة متعددة، وما أقدم عليه بعض الأمراء من انضمام إلى تركي بن عبدالله قبل أن يستكمل خطواته في إجلاء بقية رجال الحاميات العسكرية التابعة لحاكم مصر من البلاد ويستقر في الرياض، عاصمة دولته الجديدة.

ولم يَمرَّ عامان على جلاء القوات الغازية عن نجد واستقرار تركي بن عبدالله في الرياض إلا وقد بايعته البلدان النجدية كلها. ومن الواضح أن تلك البلدان- باستثناء بعض بلدان الخرج- قد انضمَّت إلى دولته دون حرب[3]. ولَعلَّ هذا يَدلُّ على أمرين مُهمِّين؛ أحدهما ما سبق أن ذكر من تَطلُّع كثير من النجديين إلى زعامة تجمع شتاتهم وتحقق لهم الأمن، وهما مسألتان شعروا بفائدتهما زمن الدولة السعودية الأولى. وثانيهما تَحلِّي الإمام تركي بن عبدالله بصفات قيادية عظيمة أثَّرت في نفوس كثير منهم؛ زعامات وأتباعًا.

---

(١) سُلَيم هو سليمان آل زامل. لكن سليمان عُرِف بِسُلَيم.

(٢) ابن بشر، ج٢، ص٢٤.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٤ - ٢٥.

ولقد شهد عام ١٢٤١هـ وصول الشيخ عبدالرحمن بن حسن، حفيد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، من مصر إلى الرياض[١]. فَحلَّ محلَّ جدِّه محمد في إدارة الشؤون الدينية في الدولة وإبداء المشورة في تسيير أمورها العامة. وبعد ذلك بعامين استطاع فيصل بن تركي أن يغادر القاهرة ويعود إلى نجد. وكان قد أُخِذَ مع مَن أُخِذَ من آل سعود إلى مصر بعد استسلام الدِّرْعيَّة لإبراهيم باشا[٢]. وقد أصبح الساعد الأيمن لأبيه تركي في توكيد دعائم الدولة وتوسيع نفوذها.

٥- توحيد المنطقة الشرقية مع نجد:

سبق أن ذُكِر بأن زعماء بني خالد استطاعوا أن يستعيدوا حكم المنطقة الشرقية بعد القضاء على الدولة السعودية الأولى وانسحاب قائد الفرقة العسكرية التابعة لإبراهيم باشا منها. وكان أولئك الزعماء ينظرون إلى أَيِّ دولة توحيدية تقوم في نجد نظرة غير وُدِّية. ومن أدِلّة ذلك ما سبق ذكره عن تَحرُّكهم ضد محمد بن مُعمَّر حينما حاول إقامة دولة في هذه المنطقة.

وكانت أَوَّل مناوشة بين دولة الإمام تركي بن عبدالله وزعماء بني خالد سنة ١٢٤٢هـ[٣]. لكن سنة ١٢٤٥هـ كانت السنة الحاسمة في العلاقة بين الطرفين. ذلك أن أَوَّلها شهد غزو عمر بن عُفَيْصان، بأمر الإمام تركي، للإحساء، ثم تلا ذلك غزو أحد زعماء بني خالد لبلدة حَرْمة النجدية[٤]. وبعد هذين الغزوين سار محمد بن عُرَيعر وأخوه ماجد بأتباعهما من قبيلتهما ومن انضم إليهما من القبائل الأخرى إلى نجد[٥]، فأمر الإمام تركي ابنه فيصلًا بأن يقود أتباعه

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص٢٧.

(٢) يذكر ابن بشر (ج٢، ص٤١) أن مجيئه كان هروبًا، وكان فيصل بن تركي ممن ثبت في حرب الدرعية. انظر المصدر نفسه، ج١، ص٢٦٦.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٢.

(٤) الفاخري، ص١٤٧ - ١٤٨؛ ابن بشر، ج٢، ص٤٥.

(٥) كان من بين من انضموا إلى بني خالد فئات من سبيع ومطير وعنزة وبني حسين.

من الحاضرة والبادية لصد الزعيمين الخالدين ومن معهما[1]. وقد دارت بين الطرفين اشتباكات عنيفة استمرت أيامًا. وقُتل خلالها ماجد بن عُرَيعر. ثم لحق الإمام تركي بابنه فيصل وأتباعه. وحينما وصل إلى ميدان المعركة دَبَّ الفشل في صفوف محمد بن عُرَيعر ومن معه، فوَلَّوا مدبرين. وغنم الجيش السعودي الشيء الكثير مما كان في حوزتهم من الإبل والغنم والأمتعة والأموال. وقد عُرِفت المعركة بمعركة السَّبيَّة[2]. ثم كتب الإمام تركي إلى كبار الأحساء يدعوهم إلى مبايعته. فأجابوه إلى ذلك. واتَّجه إلى هناك. فلما اقترب من الأحساء هرب منها كثير من بني خالد، ودخلها الإمام وابنه دون قتال، أما محمد بن عُرَيعر، الذي كان قد وصل إلى تلك البلاد بعد هزيمته في معركة السَّبيَّة، فقد تَحصَّن في قصر الكوت. ثم استسلم للإمام تركي بن عبدالله، فعامله باللطف والتقدير[3]. وهكذا خرجت الأحساء من حكم بني خالد، وأصبحت جزءًا من الدولة السعودية مرة ثانية.

وقد مكث الإمام تركي بن عبدالله في الأحساء أكثر من أربعين يومًا وفد إليه خلالها زعماء القطيف، وبايعوه على السمع والطاعة، كما وفد إليه زعماء رأس الخيمة وجَدَّدوا ولاءهم له[4]. وبعد أن رَتَّب أمور المنطقة الشرقية وعَيَّن عمر بن عُفَيْصان أميرًا عليها، وعبدالله الوُهَيبي قاضيًا لها، عاد إلى عاصمة دولته[5].

---

(١) كان الحاضرة من العارض الجنوب والوشم وسدير والقصيم وجبل شمَّر ووادي الدواسر. وكان البادية فئات من سبيع والسهول وقحطان وآل شامر والعجمان.

(٢) علَّل ابن بشر (ج٢، ص٤٧). تسمية المعركة بهذا الاسم لما غُنم فيها، لكن الشيخ حمد الجاسر أوضح (المنطقة الشرقية، ج٢، ص٨٣٣)؛ أنها سُمِّيت بذلك لأنها وقعت في مكان اسمه السَّبيَّة. وهو الأصح.

(٣) انظر عن ذلك وعمَّا حدث في أثناء تلك المعركة وما أعقبها، ابن بشر، ج٢، ص٤٧ - ٤٩.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٠، وكان زعماء رأس الخيمة قد بايعوه قبل ذلك. انظر صفحة ١٦٣ من هذا الجزء من الكتاب.

(٥) المصدر نفسه، الصفحة ذاتها. انظر عن عمر بن عفيصان صفحة ٢٣٣ من هذا الجزء من الكتاب.
أما الشيخ الوهيبي فتلقَّى العلم في الدرعية حتى أصبح مؤهلًا للقضاء، وعيَّنه الإمام عبدالله بن سعود قاضيًا فيها. ثم هرب عند سقوطها إلى رأس الخيمة، فلما استولى الإمام تركي على نجد عاد إليها. وظل قاضيًا في الأحساء حتى وفاته سنة ١٢٦٣هـ. انظر الشيخ البسام، ج٢، ص٢٥٢ - ٥٢٧.

٦- الإمام تركي والبادية:

كان هناك فرق بين موقف حاضرة نجد وموقف باديتها من الإمام تركي بن عبدالله. فالحاضرة- إلا من ندر منها- التفت حوله وانضوت تحت لوائه طائفة مختارة. ولم ينته عام ١٢٤٢هـ إلا وقد بايعته وأعلنت الولاء له[١]. أما البادية فإن أكثرها لم يذعن له إلا بعد أن أدرك قوته العسكرية[٢]. بل إن بعضًا ممن أذعنوا له منها غَيَّروا موقفهم بعد ذلك لأسباب مختلفة[٣]. ولذلك لم تنقطع غزواته لعدد من القبائل عدة سنوات[٤].

ولم يكن وضع حاضرة المنطقة الشرقية من البلاد وباديتها مختلفًا عن وضع حاضرة نجد وباديتها بصفة عامة. على أن بعض القبائل من المنطقتين كان موقفها المعادي أو غير الوُدِّي من الإمام تركي بن عبدالله أكثر وضوحًا من البعض الآخر. بل إن قسمًا من قبيلة واحدة كان مختلفًا، أحيانًا، عن قسم ثانٍ منها في موقفه تجاه ذلك الإمام. ومما يراه الباحث أن القبائل كانت تتحارب فيما بينها رغم تبعيتها لجهة واحدة هي دولة الإمام المذكورة[٥].

---

(١) ابن بشر، ج٢، ص٢٧ و٤١.

(٢) من ذلك أن رؤساء سبيع، والسهول، والعجمان، ومطير، وقحطان، وفدوا على الإمام تركي بن عبدالله سنة ١٢٤٣هـ، وذلك بعد أن رأوا دخول حاضرة نجد كلها تحت نفوذه، ورأوا هزيمته لفريق من قبيلة مطير قبل عام من التاريخ المذكور. انظر المصدر نفسه، ج٢، ص٤٢.

(٣) من ذلك أن فئات من قبيلة سبيع وفئات من مطير انضمت إلى زعماء بني خالد في زحفهم على نجد سنة ١٢٤٥هـ. المصدر نفسه، ج٢، ص٤٧. وكانت سبيع ومطير ممن بايع الإمام قبل ذلك بسنتين، كما سبق أن ذكر.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٠، ٥٢ و٥٥.

(٥) وقد اتضح ذلك من مناخ المربع، سنة ١٢٤٩هـ، الذي انقسمت فيه القبائل على نفسها انقسامًا غريبًا. انظر تفصيله لدى ابن بشر، ج٢، ص٥٩ – ٦١.

٧- الإمام تركي وجهات عمان:

ظلت بعض المناطق التي دخلت تحت نفوذ الدولة السعودية الأولى في جهات عمان؛ مثل رأس الخيمة، على ولائها لآل سعود والمبادئ التي قامت عليها تلك الدولة. وقد لجأ إليها عدد ممن هربوا من الدرعية حين استسلم الإمام عبدالله بن سعود لإبراهيم باشا[١]. وفي عام ١٢٤٤هـ وَفَد إلى الإمام تركي بن عبدالله جماعة من أهل تلك الجهات، وطلبوا منه أن يرسل إليهم قاضيًا وسَريَّة تقف معهم ضد خصومهم. فأرسل إليهم سَريَّة بقيادة عمر بن عُفَيْصان ومعه الشيخ محمد العوسجي[٢]. وأصبحت البُرَيمي مركزًا للقوة السعودية في الجهات المشار إليها.

على أن عمر بن عُفَيْصان لم يمكث طويلاً في جهات عُمان؛ إذ عاد إلى نجد، ثم صحب الإمام تركي بن عبدالله في غزوة للأحساء، حيث عُيِّن أميرًا عليها كما سبق أن ذكر. وفي سنة ١٢٤٨هـ أرسله الإمام تركي على رأس حملة قوية إلى عُمان، واضطر السلطان سعيد، صاحب مسقط، إلى إظهار المَودَّة لذلك الإمام وإلى دفع مبلغ مالي إليه سنويًّا[٣]. وهكذا وصل نفوذه في جهات عمان إلى المستوى الذي وصل إليه نفوذ قادة الدولة السعودية الأولى، أو كاد يصل إليه.

٨- الإمام تركي وآل خليفة:

كان لدخول المنطقة الشرقية تحت حكم الإمام تركي بن عبدالله أثره المباشر في علاقته مع آل خليفة الذين كانوا يحكمون البحرين وجزءًا كبيرًا من

---

(١) المصدر نفسه، ج١، ص٢٩٩ - ٣٠٠.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٤٢.

(٣) المصدر نفسه، ج٢، ص٥٥؛ بيلي وايندر وترجمة عنوان كتابه: **العربية السعودية في القرن التاسع عشر**، نيويورك، ١٩٦٥م، ص٨٠ - ٨١ اعتمادًا على بادجر في تاريخه لأحداث عمان من سنة ١٨٣٢ إلى سنة ١٨٣٤م.

قطر حينذاك. وقد دخل الإمام مع عبدالله ابن خليفة في مفاوضات أَدَّت إلى اعتراف عبدالله بتبعيته للإمام المذكور، وقبوله دفع الزكاة إليه، على أن يساعده الإمام ضد أَيِّ عدوان يُوجَّه إلى البحرين[1]. لكن ذلك الاتِّفاق لم يستمر حتى نهاية عهد الإمام تركي. ففي أواخر عهده حدث خلاف بين العماير وأمير القطيف[2]. وذهب فيصل بن تركي إلى هناك لمعالجة تلك المشكلة. فلما أغار على العماير لجأ من انهزم منهم إلى قصر الدمام، الذي كان فيه أبناء آل خليفة. فهاجمهم فيصل هناك، ثم رحل إلى سيهات، التي كان رئيسها مُتَّفقًا مع ابن خليفة على محاربة آل سعود. وقد حَقَّق فيصل كثيرًا من النجاح في المنطقة. لكن أخبار اغتيال أبيه في الرياض جعلته ينسحب بسرعة من المنطقة المذكورة إلى العاصمة[3].

٩- الإمام تركي والعثمانيون:

من الواضح أن العثمانيين كانوا يكرهون أن تقوم دولة جديدة لآل سعود بعد أن رأوا ما رأوه من الدولة السعودية الأولى. ولذا فإن حاكم مصر، الذي كان تابعًا للدولة العثمانية، بذل جهودًا مكثفة للقضاء على حركة الإمام تركي بن عبدالله في مهدها. لكن ذلك الإمام نجح أمام العقبات التي واجهته. ومع نجاحه العسكري في إرغام بقية رجال محمد علي على مغادرة نجد، فإنه حاول أن يَتقرَّب من الدولة العثمانية، وينال اعترافها به، وذلك بمراسلة كُلٍّ من والي مصر ووالي العراق، والتَّودُّد إليهما؛ معلنًا استعداده لموالاتهما[4]. وقد نجح في إقامة علاقة لا بأس بها مع باشا بغداد، لكن حاكم مصر لم يعترف به؛

(١) المصدر الأخير نفسه، ص٧٨.

(٢) العماير: فرع من بني خالد.

(٣) ابن بشر، ج٢، ص٦١.

(٤) عبدالرحيم، محمد علي وشبه الجزيرة العربية، القاهرة، ١٩٨١م، ص٢٥٠ - ٢٥١.

بل كان ينظر إلى المناطق التي استولى عليها على أنها تابعة له. ولم يمنعه من التدخُّل ضده عسكريًّا إلا انشغاله بحروبه خارج الجزيرة العربية، وبمحاولته القضاء على ثورة عسير. وظَلَّ الإمام تركي يَتصرَّف في دولته تَصرُّف الحاكم القَويِّ المستقل. لكنه لم يحاول أن يَتحدَّى الدولة العثمانية أو حكومة محمد علي بالتعرُّض للمناطق الحساسة كالحجاز.

١٠- نهاية عهد الإمام تركي:

كان مشاري بن عبدالرحمن آل سعود[١] -ابن أخت الإمام تركي- مع من أُخذ من أفراد الأسرة السعودية إلى مصر بعد استيلاء إبراهيم باشا على الدِّرْعيَّة. وكان خاله يُقدِّره غاية التقدير، ويراسله في منفاه[٢]. وقد حَثَّه على القدوم إليه في نجد. فكان أن هرب مشاري من مصر، وقدم إلى الرياض سنة ١٢٤١هـ[٣]. فأكرمه الإمام تركي، ووَلَّاه إمارة منفوحة. لكنه عزله عن إمارة هذه البلدة، سنة ١٢٤٥هـ، إثر وشاية دارت حوله بأنه يتآمر مع آخرين للإطاحة

(١) أورد ابن بشر نسبه في موضع من كتابه (ج٢ - ص٣٢) على أنه مشاري بن عبدالرحمن بن حسن بن مشاري ابن سعود بن محمد بن مقرن. لكنه أورده في موضع آخر (ج٢، ص٢٧ و٦٣) بحذف اسم حسن من النسب، وقد أورده آل الشيخ في تعليقه على ابن بشر (ج٢، ص٦٣ هـ١) بإثبات اسم حسن. على أن عبارة ابن بشر (ج٢، ص١٤) - عند حديثه عن ذرية مشاري بن سعود بن محمد بن مقرن- توحي بأن عبدالرحمن، أبا مشاري، ابن لمشاري بن سعود.

(٢) من بين رسائل تركي إليه قصيدته المشهورة التي مطلعها:

طار الكرى من مَوق عيني وفرَّا ... وفزّيت من نومي طرى لي طواري

ومنها:

سـر يا قلم واكتب على ما تورَّا ... أزكى سـلام لابن عمـي مشـاري

(٣) ذكر ابن بشر (ج٢، ص٢٧) قدوم مشاري ضمن حوادث سنة ١٢٤١هـ. لكنه حين تكلَّم عن اغتيال الإمام تركي قال (ج٢، ص٦٣) عن مشاري: إنه قدم من مصر سنة ١٢٤٢هـ. ويبدو أن التاريخ الأول أصح، ذلك أن مشاري بن عبدالرحمن كان قائد إحدى الغزوات سنة ١٢٤٢هـ. المصدر نفسه، ج٢، ص٣٩. وهذا يرجح أنه كان في نجد قبل تلك السنة.

بخاله عن الحكم. وبينما كان الإمام تركي غازيًا بعد ذلك بعام خرج مشاري من الرياض ثائرًا ضده. وقد حاول أن يجد له مؤيدين في نجد، لكنه فشل فشلًا ذريعًا لما كان يَتمتَّع به الإمام من تقدير وإعجاب بين السكان. ولذلك تَوجَّه إلى الحجاز محاولًا أن ينال تأييد الشريف محمد بن عون. لكن الشريف قبله لاجئًا عنده، وامتنع عن مساعدته عسكريًّا.

وبقي مشاري بن عبدالرحمن في الحجاز حتى مستهل عام ١٢٤٨هـ. ثم تَوجَّه إلى نجد، فوصل إلى بلدة المِذنَب، في القصيم، وطلب من أهل تلك البلدة أن يشفعوا له عند خاله. فركبوا معه إلى الرياض. وقَدَّرهم الإمام، فعفا عنه، وأنزله في بيت من البيوت الخاصة بأسرته(١).

على أن طموح مشاري بن عبدالرحمن على الحكم ظَلَّ مسيطرًا على مشاعره. وحينما كان فيصل بن تركي على رأس القوات السعودية في شرقي الجزيرة العربية للقضاء على التمرُّد الذي قام به العماير استغل مشاري بن عبدالرحمن هذه الفرصة فدَبَّر مؤامرة أَدَّت إلى اغتيال خاله الإمام تركي بن عبدالله، واستيلائه على مقاليد الأمور في الرياض. وكان ذلك في آخر يوم من سنة ١٢٤٩هـ(٢). (١٨٣٤/٥/٩م).

---

(١) المصدر نفسه، ج٢، ص٥١.

(٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٦٣ - ٦٥ وكان الذي قام باغتيال الإمام تركي إبراهيم بن حمزة، أحد المماليك السود، ويذكر موزل وترجمة عنوان كتابه: (**شمالي نجد**؛ نيويورك، ١٩٢٨، ص٢٣٧) أن مشاري بن عبدالرحمن قتل تركي بن عبدالله بالذهب المصري، كما يذكر (ص٢٧٢) أن للقائد إسماعيل بك يدًا في هذا الموضوع، وأن الأتراك اعترفوا بحكومة مشاري بعد اغتياله لخاله. لكن من الواضح أن مشاري بن عبدالرحمن بدأ محاولاته للتخلُّص من خاله منذ سنة ١٢٤٥هـ. على أن شريف مكة المؤيِّد للمصريين، والتابع لهم، لم يساعد مشاريًا حين قدم إليه ثائرًا ضد تركي سنة ١٢٤٦هـ. وهذا وذاك مما يرجح أن الدافع لمشاري للإقدام على ما أقدم عليه كان ذاتيًّا، وهو الرغبة في الحكم، أما عن اعتراف الأتراك بحكومة مشاري فمعروف أن هذا الأمير حوصر من قِبَل فيصل بن تركي بعد ثمانية عشر يومًا من اغتيال تركي، وقُضي عليه بعد أربعين يومًا من ذلك الاغتيال. ومن غير المرجح أن يحدث الاعتراف المذكور خلال هذه المدة القصيرة في زمن مثل ذلك الزمن.

وهكذا انتهى عهد الإمام تركي الذي اتَّصف بصفات قيادية عظيمة، من أبرزها الشجاعة وحسن التخطيط والعدل. وقد تَمكَّن من إجلاء بقية القوات التابعة لحاكم مصر عن نجد، كما تَمكَّن من توحيد كثير من المناطق التي كانت تابعة للدولة السعودية الأولى. وهو بما حَقَّقه من نجاح لم يَتفوَّق عليه نجاح أي حاكم من حكام الدولة السعودية الثانية، وبأقدميته زمنًا على أولئك الحكام، يُعدُّ المؤسس لتلك الدولة.

*****